مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(غلاطية ٦: ١١–١٨)

يا إخوةُ انظروا ما أعظمَ الكتاباتِ التي كتبتُها إليكم بيدي* إنَّ كلَّ الذين يريدون أن يُرضوا بحسبِ الجسدِ يُلزمونَكم أن تختتِنوا وإنَّما ذلك لئلاَّ يُضطهدوا من أجلِ صليبِ المسيحِ* لأنَّ الذينَ يختَتِنون هم أنفسُهم لا يحفظون الناموسَ بل إنَّما يريدون أن تختَتِنوا ليفتَخِروا بأجسادِكم* أمَّا أنا فحاشا لي أن أفتَخِرَ إلاَّ بصليبِ ربِّنا يسوعَ المسيحِ الذي به صُلب العالمُ لي وأنا صُلبتُ للعالم* لأنَّه في المسيحِ يسوعَ ليسَ الختانُ بشيءٍ ولا القَلَفُ بل الخليقةُ الجديدة* وكلُّ الذين يسلُكونَ بحسبِ هذا القانونِ فعليهم سلامٌ ورحمةٌ وعلى إسرائيلَ اللهِ* فلا يجلب عليَّ أحدٌ أتعاباً فيما بعدُ فإنّي حاملٌ في جسدي سماتِ الربِّ يسوع* نعمةُ ربِّنا يسوعَ المسيحِ مع روحكم أيُّها الإخوة، آمين.

القديس ديمتريوس

بعد سقوط آدم وحواء في الخطيئة بات لا بدّ من ذبيحة نقية بريئة من العيب تعيد الإنسان إلى الأحضان الأبوية. حضر المسيح «عند تمام الأزمنة» ومات على الصليب وانحدر إلى الجحيم. وكان موت السيّد ونزوله إلى الجحيم إصلاحاً للطبيعة البشرية في سائر أحوالها، وغلبة لها على ما يسمّيه الرسول بولس «سلطان الموت». بموته وطئ المسيح الموت فأنار المأسورين في عقالاته منذ الدهر، وبات الموت سبيلاً إلى الحياة والنور، ومعبراً إلى المجد السماوي الذي لا يبلى.

هكذا موت القديسين الشهداء، هو عبور إلى الحياة. فإنّ من حفظ وصايا الإنجيل وسكنت فيه «الحياة الحقّة» حياة المسيح الإله، لا يعود يَرْهب الموت بل يشتهي أن ينطلق ليكون مع المسيح.

يوضح آباؤنا القديسون أن من الناس مَن أعطى كل حياته للمسيح، وأودعه النفس والجسد، فبلغ المحبة الأسمى. هؤلاء لا يليق بهم رقاد الوفاة «العادي» بل موت الشهادة الذي ذاقه ربنا على عود الصليب المحيي. موت يتخطى في تمجيده لله وَهَن الطبيعة البشرية ومحدوديتها. من بين هؤلاء يتألق القديس الشهيد ديمتريوس المفيض الطيب.

عاش القديس في مدينة تسالونيكية تحت حكم الإمبراطورين ديوكليتيانوس وماكسيميانس (٢٨٤–٣٠٥)، وكان يتحدّر من إحدى أعرق الأسر في محافظة مقدونية. فضيلة نفسه وبهاء طلعته بالإضافة إلى حكمته وطيبته أثارت إعجاب كل من عرفه.

العدد ٤٣/٢٠١٠

الأحد ٢٤ تشرين الأول

تذكار القديس الشهيد

الحارث ورفقته

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر الحادي عشر

أما براعته في فنون القتال واختصاصه في الشؤون العسكرية فقد حدت القيصر ماكسيميانس غاليريوس أن يعيّنه آمراً لجيوش تيسالية.

سلطة كهذه لم تجعل ديمتريوس ينسى معاني الحقائق الأسمى في حياة الإنسان. إن قلب الشاب كان ملتهباً بمحبّة المسيح، وكان يصرف الوقت مبشّراً بالإنجيل ومقنعاً الوثنيين بالإيمان الحقيقي، رغم اضطهاد الإمبراطور للمسيحيين.

وحدث في ذلك الزمان أن مرّ القيصر الروماني بتسالونيكية

الإنجيل

(لوقا ٨: ٢٧-٣٩)

في ذلك الزمان أتى يسوعُ إلى كورةِ الجُرجُسيينَ فاستقبلهُ رجلٌ من المدينة به شياطينُ منذ زمانٍ طويل ولم يكن يلبَسُ ثوباً ولاً يأوي إلى بيتٍ بل إلى القبور* فلمَّا رأى يسوعَ صاح وخرَّ لهُ وقال بصوتٍ عظيم ما لي ولك يا يسوعُ ابنُ اللهِ العليّ. أطلبُ إليك ألاَّ تُعذِّبَني* فإنَّه أمرَ الروحَ النجسَ أن يخرُجَ من الإنسان لأنَّه كان قد اختَطفهُ منذ زمانٍ طويل وكان يُربَط بسلاسِلَ ويُحبَسُ بقيودٍ فيقطعُ الرُّبُطَ ويُساقُ من الشيطانِ إلى البراري* فسأله يسوعُ قائلاً ما اسمُك. فقال لَجَيونُ لأنَّ شياطينَ كثيرين كانوا قد دخلوا فيهِ* وطلبوا إليهِ أن لا يأمُرهم بالذهاب إلى الهاوية* وكان هناك قطيعُ خنازيرَ كثيرةٍ ترعى في الجبل* فطلبوا إليه أن يأذَنَ لهم بالدخولِ فيها فأذِنَ لهم* فخرجَ الشياطينُ من الإنسانِ ودخلوا في الخنازيرِ فوثبَ القطيعُ عَنِ الجُرفِ إلى البحيرة فاختَنقَ* فلمَّا رأى الرُّعاةُ ما حدثَ هربوا فأخبروا في المدينة وفي ليحتفل في طريق العودة إلى روما بانتصاره على السكيثيين ويقدّم الذبائح للأوثان. فانتهز خصوم ديمتريوس الوثنيون الفرصة ليشوا به إلى الإمبراطور. وقد تحوّل تعجّب ماكسيميانس إلى غضب شديد حين أدرك أن ديمتريوس لا يكتفي بمشاطرة المسيحيين إيمانهم بل يستفيد من منصبه لنشر الإنجيل في المحافل الرسمية. فاستجوبه معذباً إيّاه بضراوة، وسجنه في اقبية ملوّثة متاخمة لحمّام شعبي. أقام القديس وحيداً في هذا المكان الرطب مسروراً بأنه مزمع أن يشترك في آلام المسيح الخلاصية. ولكن كان عليه أن ينتظر نهاية احتفالات الإمبراطور بانتصاره قبل أن يحظى بإكليل الشهادة.

وكانت عادة الإحتفال أن ينظم الإمبراطور ألعاب مصارعة في ميدان المدينة. فأحضر القيصر معه ماردا في قبائل الفاندال اسمه لاهاوش، كان شديد البأس ولم يتمكّن أحد من مجابهته. فاحتدّت الغيرة في شاب مسيحي يافع من تسالونيكية اسمه نسطر، وأراد أن يظهر للطاغية أن القوّة والإكرام يليقان بالمسيح دون سواه. فالتجأ إلى القديس ديمتريوس في موضع سجنه، وطلب بركته وصلاته ليذهب ويجابه المارد. رسم القديس إشارة الصليب على جبينه وقلبه، وأرسله كداود جديد أمام جليات (١ صموئيل ١٧).

بلغ نسطر الميدان بشجاعة وثقة بالرب، وتقدّم أمام الإمبراطور فطرح مئزره أرضاً وهتف: «يا إله ديمتريوس أعنّي». وفيما انقض عليه المارد بضراوة، انبثّ الفتى بين أضلاعه وطعن قلبه بخنجر صغير فأسقطه للحال قتيلاً. لكن عوض أن يخضع الإمبراطور لعلامة العناية الإلهية، صرّ بأسنانه ضد الشاب الشجاع وأمر بقطع رأسه للحال خارج المدينة. وكونه سمعه يدعو «إله ديمتريوس»، شكّ بأن يكون المجاهد قد لجأ إلى حيلة سحرية، فأصدر الأمر للتوّ بإعدام القديس طعناً بالرماح في سجنه.

وقد عمد بعض المسيحيين الأتقياء، الذين شهدوا استشهاد جندي المسيح، إلى أخذ رفاته الشريفة ولفّها بورع من بعد مضي الجنود عن المكان. أما خادم ديمتريوس الخاص، والمدعو لوبس، فقد أخذ مئزر القديس المضمّخ بالدماء وخاتمه، فصنع بواسطتهما الكثير من العجائب والأشفية. فأرسل ماكسيميانس جنوده وقطع رأس الخادم أيضاً.

ولكن النعمة التي ملأت القديس ديمتريوس في حياته فاضت من بقاياه المقدسة بشكل طيب زكي العرف، يمنح الشفاء لكل من يقربه بإيمان، ويحمي مدينته من الزلازل والأوبئة والمجاعات في الأوقات الصعبة.

يذكر القديس غريغوريوس بالاماس، في عظة له عن القديس، كيف أنّ شهيداً مثل مفيض الطيب ديمتريوس، احتمل الآلام التي لا توصف، مكمّلاً «نقائص شدائد المسيح» في جسمه لأجل الكنيسة (كو ١: ٢٤)، يرتضي أن يُسفك دمه من أجل مجد المسيح. يقول: «إن هذه المحبّة للمسيح، وهذا العشق الإلهي، يستحيل بعد أن يُهرق دم ديمتريوس طيباً ينسكب من رفاة القديس، ويشهد للنعمة الإلهية، نعمة الروح المعزي، التي سكنت في جسده. لذا فإنّ قديساً كهذا مجّد

الحقول* فخرجوا ليرَوا ما حدث وأتوا إلى يسوعَ فوجدوا الإنسانَ الذي خرجتْ منه الشياطينُ جالساً عندَ قَدَمَيْ يسوعَ لابساً صحيحَ العقل فخافوا* وأخبرهم الناظِرون أيضاً كيف أُبرِئَ المجنونُ* فسأله جميعُ جمهورِ كورةِ الجُرجسيين أن ينصرِفَ عنهم لأنَّه اعتراهم خوفٌ عظيم. فدخل السفينةَ ورجعَ* فسأله الرجلُ الذي خرجَتْ منه الشياطينُ أن يكونَ معهُ. فصرَفه يسوعُ قائلاً إرجِعْ إلى بيتك وحدِّثْ بما صنعَ اللهُ إليك. فذهب وهو ينادي في المدينة كلِّها بما صنع إليهِ يسوع.

تأمل

عندما يسيطر هوىً ما على النفس بشكل عام، فإنّها تقول وتعمل كلّ ما يسبّب غضب الله من دون أيّ تردّد بما أنّها تصبح خادمةً لسيّدٍ آخر يفرض عليها عكس ما يريده الرب.

وعندما تيأس النفس كلياً من خلاصها، ولا تكون بعيدة جداً عن الجنون. عندئذ، تسلّم زمام خلاصها للأهواء المفترسة، تركض مسرعةً إلى كلّ مكان حيث توجد الخطيئة حتى تُرمى في هوّة الهلاك

المسيح في حياته وموته، والمسيح يمجّده في السماء وعلى الأرض، في الحياة والموت وما بعد الموت، إلى انقضاء الدهر» آمين.

ما اسمك؟

نقرأ في إنجيل اليوم عن إنسان من المدينة ولكنه لم يكن من ساكنيها. وكان من الأحياء لكنه كان مقيماً في القبور. كان يُضبط بالسلاسل لكن الشيطان كان يسوقه حيث يشاء. وبعد لقائه بيسوع صار حراً لكنه اختار أن يكون عبداً عند قدمي يسوع. أراد أن يتبع السيد إلى حيث يذهب لكن الله أعاده إلى مدينته وأهل بيته لكي يحدّثهم «بما صنع الله إليك».

هذا النص يُظهر قوة الرب وسلطانه الخلاصيّ المُحيي للبشر وخوف الأبالسة من قدرته الإلهية. ليس مقبولاً أن نقارن بين قوة الله وعظمته وقوة الشيطان. لكن النص الذي قرأنا يُظهر لنا أن قوة الشيطان ليست إلا مظهراً خداعاً يخفي وراءه الهشاشة. لقد رأينا كيف أن الشياطين كانت (في طلب غير منطقي) ترجو السيّد أن لا يطردها إلى الهاوية، ثم ترجوه أن يأمرها بأن تسكن قطيع الخنازير لتقوده إلى الجرف فيختنق في عمق المياه. لا يستطيع الشيطان، ولا يريد إلا قيادة الخليقة نحو هاوية الموت. ليس له سلطان إلا على من يستسلم له. أما أتقياء الرب فلا يصيبهم شرّ.

في النص مواجهة بين الرب والشيطان، تتميّز بأن السيد هو الخارج إلى البراري ليقهر الشيطان الذي يُفتضح خوفه من القدرة الإلهية بقوله: «أطلب إليك ألا تعذبني». هو لا يسأل رحمة نابعة من توبة بل يطلب عقاباً غير مؤلم لأن التوبة غير واردة عنده. أما جواب الرب يسوع فيبدو غير مرتبط بما يطلبه الشيطان: «ما اسمك»؟ «لَجَيون» (أي جيوش، لأن «شياطين كثيرة كانوا قد دخلوا فيه») أجاب الروح النجس. هذا الجواب يستأهل شيئاً من التأمل. «لَجَيون» ليس اسم علم بل اسم عام في صيغة الجمع. بمعنى آخر إنه لا يشير إلى شخص أو شيء محدد له هوية وخصوصية. اسمه يفضح تعدديته وتشتته وشرذمته مقابل وحدة الخالق وفرادة المخلوق على صورته ومثاله. لعل يسوع أراد التأكيد على كينونة الشيطان المفتتة من خلال طلبه إليه أن يعلن عن «هويته»، وشاء أن يسجنه في عالم الهباء المتناثر شظايا وأجزاء. تذكروا قصة آدم الذي كان تحطيمه لوحدة الخليقة سبباً لهلاكه ودخول الموت إلى العالم. قال لله ان المرأة التي أعطيتني كانت سبباً لخروجي عن طاعتك، في مقابل قوله سابقاً: «هذه لحم من لحمي وعظم من عظامي» (تك ٢: ٢٣). بدلاً من تبرير ذاته ولوم زوجته كان على آدم أن يصرخ: ارحمني يا الله أنا الخاطئ.

قوّة الإنسان تكمن في فرادته وفي وحدته مع ذاته ومع الخالق والخليقة. من خلال هذه الوحدة يستطيع الإنسان أن يحرّك محبّة الله، وإن تفككت وحدته فهو يطعن هذه المحبة ويخونها. لكثرة محبته أعطى اللهُ الخاطئَ نعمة التوبة ليسترجع تلك الوحدة. يكفي أن نقول كلمة واحدة لكي يحررنا المسيح من كل قيد ويعيد إلينا وحدتنا الأولى.

الأبدي. عندما تتّفق النفس مع الخطيئة التي هي من دون رحمة، تظهر ضعفها بشكلٍ رهيب. مثل الخنزير الذي عندما يتمرّغ في الوحل يفرح، هكذا النفس عندما تأسرها العادة السيئة فإنّها لا تعود تشعر بنتانة أخطائها. كذلك الأرض، مهما رميتَ فيها من بذار، فعندما لا تُروى بالمطر، لا يمكن أن تعطي قمحاً. هكذا النفس أيضاً، مهما تبذر فيها من الكلمات، عندما لا تستنير أولاً من الكتب المقدسة، فليس ممكناً أن تقدّم ثمر الفضيلة. ماذا تعطي الأرض التي لا تُحرث؟ عشباً، شوكاً ونباتاً برياً. وماذا تفعل النفس التي لا تنمو روحياً؟ أعمالاً مخالفة وشريرة. بقدر ما تبقى الأرض غير مفلوحة، تزداد وتقسو حشائشها أكثر. وبقدر ما تبقى النفس من دون تهذيب، بقدر ما تزداد وتكثر أهواؤها، وتصبح خطاياها كثيرة وثقيلة جداً، وتقودها إلى الموت في النهاية.

القديس يوحنا الذهبي الفم

والنفس التي تسأل أن يحررها المسيح تصبح أسيرة المسيح فتجلس «عند قدمي يسوع «ولا تستطيع فيما بعد أن تتخلى عنه لأنه انتشلها من مساكن الموت ورفعها إلى ملء قامته. لكنه بعد حين يطلقها من أسرها مرجعاً إياها إلى بيتها وينتظر إن كانت ستعود إليه. ينتظر أن يكون هو خيارها الدائم. يُطلقها ليمتحن إرادتها الحرّة في العودة إليه. والعودة إليه لا تكون إلا بالجهاد اليومي وبالعبرات ودموع الشوق. على النفس التي تريد أن تجلس عند أقدام السيّد، سليمة، معافاة، ممتلئة حكمة وفهماً، أن تصارع الأهواء بصورة يومية لتؤكد خيارها الحرّ بالعبودية للسيّد. هكذا يصبح الجهاد عرساً أبدياً يلتصق من خلاله المخلوق بالخالق فيستمد الاستنارة ويلبس ثوب التقديس.

عندما نُفرغ ذواتنا من جيوش أهوائنا يسكن الرب ديار غربتنا ويعيدنا إلى الفردوس المفقود. لعله أيضاً يُطلقنا إلى مدينتنا الأولى حيث كنا، ليجعل منا رسلاً نخبّر بعظمة مجده، كما فعل هذا الرجل، حاملين نوره ونعمته إلى كل الأرض.

نحن المعمَّدين حصلنا بالمعمودية على نعمة الله. ولكن السؤال هو: كيف تصرفنا بهذه الوديعة؟ هل طمرناها أم بددناها أم حافظنا عليها؟ النعمة هذه، تنمو فينا وفي الكون من خلالنا إن سعينا إلى تنميتها وإظهارها لنستحق أن تفعل فينا وبواسطتنا.

من ترك جنون الأرض وخرج إلى برّية ذاته سيكتشف مذهولاً عظمة الحب الإلهي للخليقة. هذا الحب يسقي العطاش إلى البرّ ويشبع الجياع إلى الحق ويلبس مختاريه حلّة العرس الأبدي، حلة المجد الذي لا يفنى والنور الذي بحروفه تُكتب أسماء القديسين في كتاب الحياة التي لا يعتريها مساء.

عيد القديس ديمتريوس

بمناسبة عيد المعظّم في الشهداء ديمتريوس المفيض الطيب يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الإثنين ٢٥ تشرين الأول وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الثلاثاء ٢٦ تشرين الأول في كنيسة القديس ديمتريوس في الأشرفية.

كتاب القداس الإلهي

صدر عن مكتب التربية المسيحية ومدرسة القديس رومانوس المرنم للموسيقى الكنسيَّة في أبرشية بيروت للروم الأرثوذكس «كتاب القداس الإلهي» ويحتوي على تراتيل صلاة السَحَر وتراتيل القداس الإلهي.

يُطلب من مكتب التربية المسيحية ومن مكتبة الرجاء.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb